ضمنياً، استهدف، من بين أمور أخرى، تطويق الاستقلالية الفلسطينية، ما أمكنه الى ذلك. ويتّضح للمراقب، اليوم، ان دينامية جديدة برزت، بعد الاحداث في الاردن، حتى داخل جسم «فتح» نفسها. ووصف هاني الحسن هذه الدينامية، بصورة واضحة، بالقول: «بعد الاحداث في الاردن، نما اليسار داخل حركة ' فتح '. وللمرة الاولى في تاريخ حركتنا، كان هنالك بيننا الراغب في التوسّع، بحيث يغدو السوفيات قادرين على استخدامنا». لماذا حصل هذا التحوّل؟ «من دون اساءة للفهم»، أضاف هاني الحسن: «ان احداً في يسار ' فتح ' لم يكن شيوعياً أو مؤيداً للسوفيات في أي طريقة. لقد غدوا يساريين وراديكاليين كي ينالوا اعجاب السوفيات. وعليّ ان أُضيف ان تفكيرهم كان منطقياً، بعض الشيء؛ ذلك ان لسان حالهم كان يقول، بما ان الاميركيين، في الواقع، يقفون خلف المحاولة التي تحاول تصفية حركتنا وقضيتنا، فاننا اذا ما كتب لنا البقاء، لا يمكننا الّا الاعتماد على القوة العظمى الاخرى التي تدعمنا، بصورة عملية». لا عجب بعد ذلك «ان نرى يساريي ' فتح ' يقيمون تحالفاً تكتيكياً مع باقي الفصائل اليسارية، مثل الجبهتين، الشعبية والديمقراطية، وغيرهما». عندئذٍ، فقط، رأى عرفات في ذلك ان ثمّة خطراً كبيراً يتهدّد المنظمة؛ فسعى من جهته الى اقامة تحالفات تكتيكية مع اليسار، «وأنا نفسي»، قال هاني الحسن، «وخالد الحسن وباقي اليمينيين في ' فتح ' كنّا ضد تكتيك عرفات؛ وكانت حجّتنا في ذلك ان من الهامّ ان نحصل على دعم السوفيات، ولكن ليس بالضرورة ان يتمّ على حساب استقلاليتنا». لكن المسألة بالنسبة الى عرفات لم تكن بمثل هذه الحدّة، ذلك ان وجهة نظره كانت، ان الحفاظ على استقلالية القرار الفلسطيني لا تعفي حاجتها «الى اللعب التكتيكي». أمّا استراتيجيته التي أفاض في شرحها لنا، فكانت واضحة بما فيه الكفاية. وممّا قاله، في حينه: «سوف يأتي يوم عندما يكون علينا الحصول على دعم السوفيات، اذا ما أردنا لقضيتنا ان تنشد الحل السياسي»[٣٩]. ويمكن القول، ان المشكلة كانت، الى حدّ بعيد، في هذا المجال، مرآة لهامش الاستقلالية التي تتمتّع بها «فتح» باتجاه السوفيات، وبالتالي، معطى اساسياً من معطيات القوة. ولا يفاجأ المرء، فعلاً، بأن موسكو كانت تحجب عن «فتح» الدعم المطلوب؛ اذ لم تكن تشعر بأن لها «رجالها هناك». ويبدو ان هذا هو السبب الذي جعل عرفات يرغب بتحقيق تسوية وتحالف مع اليسار الفلسطيني.

متغيّرات سوفياتية

لا عجب، بعد ذلك، ان نرى السوفيات وقد بدأوا أولى خطواتهم الجادة باتجاه المنظمة. ففي مطلع العام ١٩٧١، قال هاني الحسن: «اتصل بنا احد موظفي السفارة السوفياتية في عمّان، وطلب لقاء مع عرفات. ولما كنّا قد فشلنا، في السابق، في اقامة علاقة جيدة مع السوفيات، قلت له: ' لا بأس ' ؛ وأخذته الى الهضاب للقاء ابو عمّار». وهنا قالها الحسن، صراحة: «انني نفسي استغربت ما قاله المسؤول السوفياتي حين التقى عرفات. لقد قال: الآن، اظن انك سوف تدرك الدرس الذي مفاده انه من دون قيام تعاون مع قوة عظمى لا يمكنك ان تفعل شيئاً». وكان يغمز في ذلك، بالطبع، من قناة ما فعله الاميركيون بنا في أيلول (سبتمبر)، وبهذا فاننا كنّا بحاجة الى السوفيات اذا كنّا نرغب في حماية أنفسنا من الاميركيين». وقال، أيضاً، بوضوح غير معتاد لدى الدبلوماسيين السوفيات: «ان موسكو يمكنها تقديم المساعدة لنا، ولكن على طريقتها الخاصة». وأضاف الحسن: «نتيجة ذلك اللقاء، دُعي عرفات الى تهيئة نفسه للقيام بأول زيارة رسمية الى موسكو. ولكن حتى في ذلك الوقت فان السوفيات أجّلوا الزيارة الى حين خروج المنظمة، بصورة نهائية، من الاردن، وكانوا يطمحون، على ما يبدو، الى ان عرفات قد تعلّم الدرس بشكل كافٍ، كي يصبح، بصورة أو بأخرى، ' عميلاً سوفياتياً ' . ولكن السوفيات أنفسهم فوجئوا بأن عرفات لم يكن يرغب في التضحية